لعاد هؤلاء الفتيان الى بلادهم رجالاً اهل علم ودراية وغيرة وطنيَّة ومقدرة على ادارة مهام المملكة واجراء العدالة ونشر التعليم والتهذيب بين ابنائها فلا يمضي عليهم عشرون عاماً حتى يخطوا بها خطوة كبيرة في سبيل العمران ويبقى عليهِ حينئذٍ ان يمنح البلاد دستوراً تتمتع بهِ وقانوناً تجري عليهِ حتى يحكم الرعيَّة بعقول عقلائها لا بارادة الخاصة . فان المرء مهما كان حكيمًا لا يقتصر على رأيهِ في ادارة بيتهِ فما يكون شأنهُ في ادارة سلطنة واسعة الاطراف . فلو جرى جلالة الشاه على الخطة الَّتي ذكرناها لارتقت بلادهُ في عهدهِ كما ارتقت بلاد يابان عَلَى الاقل وبلغت الشأو الذي كان يتمناهُ لها

وعسى ان يكون نصيب تلك البلاد في عهد خلفهِ مظفر الدين شاه اوفى من نصيبها في عهدهِ فيجري جلالتهُ على الخطة التي يحكم بصحتها العقل ويؤيدها النقل وهي اخذ العلم عن اربابهِ وبثهُ في البلاد كلها وإشراك عقلاء الامة في شؤونها والاعتماد عليهم في ادارتها فانهُ اذا فعل ذلك لم يمضِ على بلاد ايران عشرون عاماً حتى تصير من الطبقة الاولى بين ممالك الشرق ويرتع اهلوها في بحبوحة الراحة والامن

ايطاليا والحبشة

لم تكد دول اوربا تخرج من مؤتمر برلين حتى طمحت ابصارها إلَى افريقية ولم تشأ ايطاليا ان تتأخر عن غيرها في هذا المضمار فابتاعت اصاب من سلطان دنيكلي خزت الفحم لسفنها عَلَى شاطىء البحر الاحمر شمالي بوغاز باب المندب ثم بعثت الف جندي إلَى تلك البلاد لقصاص الذين قتلوا بعضاً من رجالها فاحتلوا مصوَّع ولمَّا لم يجدوا التتلة اخذوا يوغلون في بلاد الحبشة رويدًا رويدًا . فارسل اليهم النجاشي يوحنا قائدًا من قوادهِ لطردهم من بلادهِ فالتقى بهم سنة ١٨٨٧ واثخن فيهم وكانوا خمس مئة محارب فلم ينجُ منهم الاَّ بعض الجرحى عادوا إلَى مصوَّع واخبروا بما جرى لهم . لكنَّ ايطاليا لم تفشل ولم ترجع عن عزمها فعبَّأت الجنود وبعثت بهم إلَى بلاد الاحباش

ونشبت الحرب حينئذٍ بين الملك يوحنا والدراويش فتغلب عليهم اولاً واستاق سباياهم ثم اصابتهُ رصاصة فمضت عليهِ فظن الايطاليون ان قد خلا لهم الجو ومهَّدت السبل لامتلاك بلاد الحبشة وكانوا يثقون بالامير منلك امير شوى وهي بلاد واسعة جنوبي بلاد الحبشة لانهُ احسن إلَى رؤادهم فشدُّوا ازرهُ واعترفوا بهِ ملكًا عَلَى بلاد الحبشة واهدوا اليهِ عشرة

آلاف بندقيَّة وكثيرًا من المبرة وعقدوا معهُ معاهدة مؤدّى البند السابع عشر منها حسب الترجمة الايطاليَّة ان يكون تحت حماية ايطاليا ولا يخابر الدول الاجنبيَّة الاَّ بواسطتها . ولما بلغ منلك مؤدّى هٰذا البند انكرهُ هو وزوجتهُ توتي وعدَّاهُ اعتداءً عليهما وحطة من شأنهما. وكان منلك قد بعث احد امرائهِ واسمهُ الراس مكونن الى ايطاليا سفيرًا فاسترجعهُ ولامهُ عَلَى تساهلهِ للايطاليين وقال ان غاية ما قصدهُ من مخالفتهِ لايطاليا ان يمكنهُ الاعتماد عليها في مخابرتهِ مع الدول ففسر الايطاليون كلمة " يمكنهُ " بكلمة " يلزمهُ " . واراد الراس مكونن ان يخفف الامر عَلَى منلك فقالت لهُ الملكة توتي ان الايطاليين قد رشوك حتى فعلتَ ما فعلتَ ثم قالت للجنرال انطونلي الايطالي ان دولتك قد ارسلت الصورة الَّتي

منلك ملك شوى وامبراطور الحبشة

تريدها من هذه المعاهدة الى الدول الاوربيَّة ونحن فعلنا مثلها . وعبثًا تحاولون ان نكون تحت حمايتكم لاننا لا نسلم بذلك ولا نرغب فيهِ

اما الصورة التي ارسلها منلك فيقول فيها ان البند السابع عشر من معاهدة اشيالي حُذف وجلالة نجاشي الحبشة لا يعد باعطاء شيء من بلادهِ ولا يرتبط بمعاهدات ولا يقبل حماية احد ايًّا كان . ثم ابى ان يتوَّج في مدينة ايوم لان الايطاليين كانوا فيها

ويقول الايطاليون ان فرنسا وروسيا حثتا منلك عَلَى مناوأتهم . ومهما يكن من ذلك فلا شبهة في انهُ اخذ من ذلك الحين يعبئُ الجنود ويبتاع البنادق والمدافع . فاجتمع تحت رايتهِ سبعون الف محارب

وفيما كانت المناقشة دائرة على معاهدة اشيالي سقطت وزارة كرسبي في ايطاليا وقامت وزارة روديني واعضاؤها يكرهون الايغال في افريقية ويتوخون الاقتصاد في النفقات الحربيَّة . فبعثوا لجنة تحقيق الى املاكهم في افريقية وكانوا قد اطلقوا عليها اسم ارتريا فلم تجد فيها ما يقابل بالنفقات الكثيرة التي أُنفقت عليها فاستُدعي الجنرال غندلفي وأُرسل الكولونل باراتيري بدلاً منهُ وهو جذوة من نار غاريبلدي وكاتب من كبار الكتَّاب فحارب الدراويش وقهرهم واصلح شؤون المستعمرة الايطاليَّة من كل وجه . وكان الجنرال بلداسارا والجنرال غندلفي قد سعيا في تجنيد الجنود من الافريقيين ولم يفلحا لترفُّعهما هما وضباطهما عن الجند اما هو فافلح في هذا السبيل لانهُ عاش مع الجنود كانهُ واحد منهم . ونفقة الجندي الافريقي ٦٥٣ فرنكاً في السنة ونفقة الجندي الايطالي ١٠٢٥ فرنكاً

توتي ملكة شوى وامبراطورة الحبشة

وعاد كرسبي إلى الوزارة في دسمبر سنة ١٨٩٣ فاقرَّ على فتح كسلا فهاجمها باراتيري في اواسط سنة ١٨٩٤ وفتحها بعد ان امحن في الدراويش . وكان منلك مشغولاً حينئذٍ بالغزو فلما عاد من غزواته اتاهُ رؤساء بلادهِ وحثوهُ على محاربة الايطاليين خوفاً من ان امتلاكهم لكسلا يسهل عليهم امتلاك بلاد الحبشة كلها ويقال ان راس منغاشيا علَّق حجرًا في عنقهِ علامة الطاعة وجاء منلك وطلب منهُ ان يملكهُ على بلاد التغرة فقال لهُ " اتكون ملكاً بلا مملكة اذهب واطرد الايطاليين من البلاد اولاً ثم ننظر في امرك "

والاحباش مسيحيون اعتنقوا الديانة المسيحيَّة منذ القرن الرابع وهم تابعون للبطريرك

الاسكندري بطريرك الكنيسة القبطية الارثوذكية فهم من حيث المذهب مسالمون للايطاليين ويقال ان اسقفهم بذل جهده في اقناع رأس منغاشيا ليعدل عن مناوأة الايطاليين فلم يقلع واخيراً التقت جنود رأس منغاشيا ورأس الولا وعددها اثنا عشر الف مقاتل بجنود الايطاليين وهي ٣٨٠٠ وكلهم من الافريقيين ما عدا ٦٥ ضابطاً و٤٢ جندياً ايطالياً فدارت الدائرة على الاحباش وقتل منهم خلق كثير وكان ذلك في اوائل سنة ١٨٩٥ فوسع الايطاليون املاكهم من ذلك الحين وضموا اليها بلاد التغرة واغامي وبنوا الحصون فيهما. وبعث رأس منغاشيا ورأس مكونن الى الايطاليين يطلبان الصلح ولكن لم ينته شهر نوفمبر سنة ١٨٩٥ حتى جاهرا بعزمهما على الاتحاق بمنلك والقيام معه على الايطاليين . ولم يمض الاَّ ايام قليلة قد اقبلت جنود شوى واحاط عشرون الفاً منها بجنود الجنرال توسلي وعددها ٢٤٠٠ فلم يسلم منها سوى ثلثمئة وقُتل توسلي ايضاً فدفنه رأس مكونن مع سائر الضباط الايطاليين بالاكرام العسكري اللائق بمقامهم ويقال انه قتل من الاحباش حينئذٍ اربعة آلاف مقاتل

ثم اقبل منلك نفسه بجنوده فبلغ عدد الاحباش سبعين الف مقاتل شاكي السلاح . وكان الف وخمس مئة من عساكر الايطاليين قد تحصنوا في حصن مكلا فتكلت قنابلهم بالاحباش الى ان نرغ ماؤهم فعرض عليهم منلك ان يسلموه الحصن وهو يردهم الى ادغرات سالمين بشرط ان الجنود الايطالية لا تحارب جنود الاحباش في سيرها الى عدوة ففعلوا وسار منلك بجنوده من بلاد لا طعام لهم فيها الى بلاد كثيرة الخير والمير . وجرت المخابرة حينئذٍ في شروط الصلح واصرَّ منلك على حذف البند السابع عشر من معاهدة اُشيالي وعلى رجوع الايطاليين الى تخومهم الاولى فلم يقبل كرسبي بذلك . ورأى رؤساء الاحباش الذين كانوا موالين الايطاليين ان النصر قد عقد للجاشي منلك فانحازوا اليه وامسى براتيري تحيط به الاعداء من كل ناحية فجمع مجلساً حربياً قرَّ قراره على مناجزة الاحباش وتفرق قواده واخطأ الجنرال البرتوني المكان الذي أُرسل اليه لوجود مكانين باسم واحد فابعد كثيراً واحاط به الاحباش فتغلبوا عليه وتبعه الجنرال دابورميدا فاحاط به الاحباش قبل ان يصل الجنرال اريموندي لنجدته لوعورة المسالك فدارت الدائرة على الايطاليين وخسروا نحو عشرة آلاف بين قتيل وجريح

ولما بلغت اخبار هذه الواقعة ايطاليا مادت لها البلاد وخيف من الثورة وسقطت وزارة كرسبي وخلفتها وزارة روديني واضطر الايطاليون ان يعودوا إلى تخومهم القديمة

تجد خريطة بلاد الحبشة واسماء اكثر الاماكن المذكورة في هذه المقالة في الخريطة التي في صدر هذا الجزء